كلية : الآداب

القسم او الفرع : علم الاجتماع

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : د. مؤيد منفي محمد

اسم المادة باللغة العربية :علم الاجتماع العائلي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : family sociology

اسم المحاضرة السادسة باللغة العربية: الاسرة كنظام اجتماعي

اسم المحاضرة السادسة باللغة الإنكليزية: The family as a social system

الاسرة كنظام اجتماعي:

عند دراسة التفاعل بين الفرد والجماعة ، نجد أن الأسرة تحتل المركز الأول، ليس فقط من جهة الزمن ، بالنسبة للطفل ، ولكن أيضاً من جهة الأهمية. ففي الأسرة نجد أن الطفل يحصل على علاقاته الاجتماعية الأولى ، التي بها ومن خلالها يكتسب خبرته وينظمها. وليس هناك نظام آخر له مثل هذا الدور الهام في نقل الطفل الحديث والولادة إلى حيث يصبح شخصاً ، أي نقله من طبيعته

وفقط في Human Nature إلى طبيعته الإنسانية Biological Nature البيولوجية الأسرة ، نجد أن العمليات الاجتماعية تظهر في عرض مستمر ، يسير من حالة التكيف إلى حالة التعارف والتعاون ، إلى حالة الضبط الاجتماعي. ومن المهم ، على ذلك أن كل الذين يهتمون بالتربية ، يجب عليهم أن يفهموا دور الأسرة في حياة الشخص ، لأنه في الوقت الذي فيه يبدأ الطفل في الالتحاق

بالمدرسة ، نجده قد اكتسب فعلاً كثيراً من الأنماط الاجتماعية ، فهو قد كون لنفسه

شخصية محددة ، كما اكتسب مجموعة من العادات والمعارف ، والاتجاهات التي

.(تؤثر بشكل محسوس على كل تكيفه في المستقبل(١

إن لفظ (أسرة) من وجهة نظر علم الاجتماع ، تشمل مفهومين : المفهوم

الأول ، الذي يرى أن الأسرة تشتمل على كل الأفراد الذين تربطهم سلسلة نسب ،

وعلى وجه الخصوص كل الأقارب الذين على قيد الحياة.

وهذا الاستعمال يتطابق مع مفهوم (القبيلة). ولكن مع زيادة تحركات السكان،

يستخدم لفظ (الأسرة) بالمفهوم الثاني الوظيفي على أنه التجمع المستمر للآباء

والأبناء والذي وظيفته الأولية هي عملية التشكيل الاجتماعي للطفل ، وإشباع

حاجات الأفراد فيه للتقبل والاستجابة.

-

والأسرة الحديثة ، هي في الواقع ، أكثر من مجرد عدد الأشخاص الذين

يعيشون في مسكن واحد ، إذ هي تعتبر مجموعة من الشخصيات المتفاعلة ، والتي نجد فيها لكل عضو دوراً محدوداً. وهذه الأدوار لا يمكن أن تظل ثابتة ، بل إنها تتغير في المواقف المختلفة ، وبمرور الزمن . ففي الموقف الذي يختص بالملابس مثلاً ، نجد غالباً دور الأم هو المسيطر، بينما في أمر آخر مثل استخدام سيارة الأسرة ، فقرارات الأب هي النهائية. ودور الطفل ينتقل من مجرد تقبل سلطة الآخرين ، إلى المشاركة في القرارات ، وأحياناً يكون هو العضو المسيطر في جماعة الأسرة.

والأسرة هي عبارة عن جماعة نحن مع مستويات محدودة من السلوك وبدرجات مختلفة ، تربط جميع أعضائها . ولا داعي لتتبع وراثة الأسرة إلى الآباء القدامى ولا حاجة بالأسرة أن تكون قديمة ومستقر ذات حسب ونسب ، ولكن الشيء المهم هو الطرق الشعبية العامة والأعراف التي تعتنقها الأسرة ، وتجعل منها شيئاً مختلفاً عن الأسرات الأخرى من حولها.

وهذه الاختلافات كثيرة ، فقد تستخدم أسرة لغة تتكون من ألف كلمة فقط ، وتستخدم أسرة أخرى لغة تتكون من عشرة ألاف كلمة ، وكل أسرة لها عادات كلام معينة ، وخرافات، واهتمامات خاصة. وقد يكون المستوى الاقتصادي عاملاً فعالاً، ولكن قد يكون أهم منه اتجاهات الأسرة نحو التوفير أو الإسراف ، وكذلك اتجاهاً نحو القيمة التي يعطونها للوقت. وبعض الأسر ليس عندها أي تعاطف نحو بعض الجماعات الدينية ، أو العنصرية. وهناك اختلافات أساسية بين الأسر ، فيما يختص بالمسئولية المتبادلة بين الأعضاء في الأسرة ، أو الأشخاص خارج جماعة القرابة.

وناحية أخرى ، في الأسرة كنظام اجتماعي هي الالتزامات والمسئوليات ، التي بدأت تطوعية في التفاعل الأسري ، ثم أخذت تفرضها حدود المجتمع المحلي

-

محرماته ، ثم أصبحت الآن تفرض بواسطة القوانين ، المنظمة مثلاً للزواج ، والطلاق ، وحقوق الملكية ، والميراث كما نلاحظ أن الدولة تمارس أيضاً سلطة تنظيمية لكي تجبر الآباء على تعليم أبنائهم، ومنع القسوة عليهم أو إهمالهم. ومع ذلك ، فالأسرة لا تعتمد على سلطة القانون الديني أو المدني ، بل الأمور يقرر بعمق العادات والمعايير والمثل والقيم كما تبدو في الطرق الشعبية والأعراف في المجتمع.

إن أصل وتطور الأسرة كان موضوع دراسات ومناقشات واسعة قام بها علماء الاجتماع ، والانثربولوجيا والوراثة ، والتاريخ ، وبتأثير نمو مفهوم التطور، وغيرهما تتبعت تطور Frazer وفريزر Rivers فالدراسات التي قام بها ريفرز Matriarchal الأسرة ، ابتداء من الاختلاط غير المحدد ، إلى شكل الأسرة الأمية

حيث Patriarchal حيث كان القرابة من خلال الأم ، إلى شكل الأسرة الأبوية السيادة لأكبر للذكور سننا ، وأخيرا إلى شكل الضبط الثنائي حيث يتقاسم الزوجان المسئولين والسلطة في الأسرة.

والنواحي الثلاث في موضوع تاريخ الأسرة ، والتي لها قيمة لعلم الاجتماع ، عبارة عن دراسة التغيرات ، في أنماط التفاعل الاجتماعي بخصوص :

١) علاقة اللطف بالوالدين.)

٢) علاقة الزوج والزوجة.)

٣) انتقال وظيفة الأسرة في تفاعلها بالجماعات ، والمؤسسات ، والخدمات في) المجتمع المحلي.

-

العلاقة بين الطفل والوالدين :

إن العلاقات المتبادلة بين الأطفال وآبائهم ، تختلف بشكل واسع ، لدرجة أنه

ليس هناك نمط عام ، بين القبائل البدائية ، فمن تجارة الأطفال ، إلى الحب الأبوي، ومن الإهمال التام ، إلى العناية البالغة. ولكن بصرف النظر عن الاختلافات في الجماعات ، فهناك عنصر واحد يكاد يكون عاماً ، ألا وهو أن الطفل يجب أن يخضع إلى النمط السلوكي لعلاقات الجماعة. ومن سوء الحظ أن معظم الدراسات الانثروبولوجية على البدائيين كانت تعني بناحية البناء الاجتماعي Social Structure التي تبدوا في حدود علاقات. ولكن لوحظ من المعطيات والبيانات الوظيفية Function المتفرقة عن القبائل البدائية ، أن معظم المواليد مرغوب فيهم ، وخصوصاً الذكور. ويسود عندهم الاعتقاد في المثل الذي يقول (بواسطة الابن يذهب إلى السماء وبواسطة ابن الابن يحصل على الخلود، وبابن ابن الابن يرتفه ليسكن في الشمس،وإذا ماتت أسرة دون طفل ذكر ، فإن أبواب السماء تغلق دونها ، ويطرد من السماء ، إلى الأبد ، الآباء والأجداد ، الذين كانت الأبواب قد فتحت لهم من قبل(٢).

وبالرغم من أن الأطفال في الثقافات البدائية قليل التنظيم ، إلى أنهم يتبعون الأنماط السلوكية للكبار. فالطفل الصغير في أفريقيا ، وهو الأكثر تدليلاً ، يظهر درجة من ضبط النفس ، تفوق ما عند الطفل الأبيض ، في حين أن من مظاهر التدليل نجد الأم لا يمكنها أن تعاقب طفلها ، وقد يضرب الطفل أمه ، حيث يعتبر بذلك شجاعاً ، وعند قبائل البوشمان (من زنوج جنوب أفريقيا) يترك الأطفال لحالهم ، ويؤدي هذا إلى أن يشبوا معتمدين على أنفسهم في وقت مبكر.

وظاهرة فقدان النظام الواضح ، والمصحوب بالخضوع والتكيف العام لسلوك الكبار عند القبائل البدائية ، تبدوا متناقضة مع ما نجده في علاقة الطفل بالأب في

-

الحضارة الغربية. وقد يرجع ذلك ، في المجتمعات البدائية ، لوجود علاقة وثيقة بين الفشل في التكيف مع أنماط الكبار والفشل في إشباع الطفل لحاجاته ولكن حينما يكون السلوك المرغوب فيه ، قليل العلاقة بالرغبات المباشرة للطفل ، يصبح النظام هنا ضرورياً.

ونلاحظ أنه في العصور الوسطى ، سواء في العالم الغربي أو العالم الشرقي، كانت تسود القيم الدينية ، ونجد أن تيودورستودارد Stoddard في وصفه الشيق ، الذي ورد في كتابه The Story of youth ، قصة الشباب يقول : (أنه إلى منتصف القرن الماضي كان يعامل الأطفال بالشدة ، كانت معاملة غير عادلة وقاسية). وحسب ما ورد في كتابات العصور الوسطى ، كانت معاملة الأطفال بأي درجة من الرحمة والتقدير ، تعتبر (تدليلاً وفساداً) . ونحن نعرف ، أنه في الطبقة العليا ، على الخصوص ، كان الأطفال ولا يزالون إلى الآن ، يلبسون مثل ملابس الكبار ولكنهم يعاملون على أنه أقل فهم أخر ما يقدم على المائدة في حضور الضيوف كما أنهم يقدمون إلى الضيوف لكي يرونهم فقط ، ولكن لا يسمعونهم يتكلمون. وأمام القضاء ، وقانون العقوبات لم يكن هناك فرق في المعاملة بين الصغار والكبار المذنبين.

وخلال فترة المراهقة ، كان يتدرب الأطفال على مهن أبائهم وكانت تفلح الأرض ، خلال أجيال متعاقبة ، بنفس الأسرة. وحينما حلت الثورة الصناعية ، ا انتقلت العمالة من المنزل إلى المصنع ، نجد أن هذا النمط من التراث ، قلت أهميته